المشي في النار

« المشي في النار » مرتبط كل الارتباط بالخرافات والتقاليد المرعية الجانب بين الاقوام التي يمارس فيها الآن فيصعب البحث فيه بحثاً علمياً للكشف عن اصله وتتبع نشوئه. والظاهر ان المقصود منهُ شكر الآلهة على السلامة والخير في الماضي والتضرع اليها لاجزال النعم في المستقبل . وهو عادة قديمة كانت منتشرة بين اقوام كثيرين. فالايليد قصيدة فرجيل تذكر الكهان الذين يتبون الى النار ويعفيهم الرومان من الاندماج في سلك الجندية «لانهم اقوياء في الايمان حتى ليمشون في وسط النيران» ويقال ان مقدرة المشي على النيران واطفائها بالتعازيم كان وراثيه محصورة في عائلة واحدة باسبانيا في اوائل القرن الثامن عشر وكانت تمارس ذلك بسماح من ديوان التفتيش . ولا يزال « المشي في النار» معروفاً في بلغاريا وترنيداد وجزائر فيجي وتاهيتي والهند ومستعمرات مضيق ملقا وجزيرة موريشوس واليابان. وما يجري فيها واحدٌ في جميع هذه البلدان تقريباً اهم ما فيه ان تمشي جماعة من الكهان او غيرهم حفاة على الجمر او الرمض . وفي بلغاريا يجتمع « مشاة النار » في عيد القديسين هيلانه وقسطنطين ويرقصون على الجمر ويتنبأون .اما في ترنيداد وموريشوس ومستعمرات مضيق ملقا فمشاة النار من حمالي الهنود

يعتقد سكان جزائر فيجي ان شيخ جزيرة مبنفا كان اول من مشى على النار وهذه صورة مشاة النار من سكان تلك الجزائر

والظاهر ان « المشي في النار » آخذ بالزوال رويداً رويداً من جزائر فيجي وتاهيتي . وقد جرت العادة هناك ان تحفر حفر قطرها من عشرين قدماً الى

ثلاثين وعمقها من قدمين الى اربع اقدام ممتلأ بالحجر الاسود البسلط (الخرسنو) وقطع من الخشب في طبقات طبقة من الحجر وطبقة من الخشب وهكذا دواليك . ثم تشعل النار قبل الاحتفال بيوم وتبقى مشعلة بلا انقطاع ومتى حميت الحجارة ينزع ما بقي من الاخشاب وتبسط الحجارة الحامية

وقد وصفت مجلة ناتشر احد هذه الاحتفالات وصفاً علمياً نقلناهُ عنها في مقتطف يناير سنة ١٩٠٣ لعيد نشرهُ الآن ومعهُ صُور تمثل ذلك عثرنا عليها في عدد يونيو الماضي من مجلة « اميركا » الاميركية : —

«ان هذا العمل جرى في جزيرة مبنغا أجراه اناس من قبيلة مشهورة بتحمُّل اهاليها للحر الشديد . حفرت حفرة مستديرة في غاب كبير قطرهـا نحو ٢٠ قدماً وعمقها قدمان وغرزت فيها اوتاد كثيرة أُلقيت عليها سعوف النخل اليابسة واضرمت

قبل الاحتفال يساعدون تسحب الحجارة والاخشاب ويبسط الرمض التي عليه المشاة ويرقصوا

فيها النار ثم رصفت الحجارة في تلك الحفرة كما ترصف في الاتون وزيد اضرام النار تحتها وفوقها وظلت النار توقد يومين كاملين حتى صارت الحجارة بيضاء ملتهبة من شدة حموها كما تصير في اتون الجير (الكلس) وصار يصعب على الانسان ان يدنو منها لشدة حموها ولان الشظايا كانت تتشظى منهـا وتتطاير في كل الجهات. وحينئذ اتوا بعيدان كبيرة خضراء طول العود منها نحو عشرين قدماً ويجزم من الاغصان والدوالي الغليظة وربطوا الدوالي في رؤوس العيدان اناشيط او حلقـات وجعلوا يلقونها على جزال الحطب التي لم يتم اشتعالها ويجرونها بها من الحفرة وكلما لمست هذه الحلقات او العيدان حجراً من الحجـارة ازت واشتعلت حالا دلالة على ان الحجارة كانت

في اشد درجات الحمو . وظلوا يفعلون ذلك حتى لم يبق في الحفرة غير الحجارة فجعلوا يقلبونها بحلقات الدوالي المتصلة بالعيدان ويرصفونها بعضها بجانب بعض والحلقات تشتعل كلما اتصلت بها مع انها خضراء وهم لا ينفكون عن ابدالها بغيرها الى ان صارت الحجارة على استواء واحد تقريباً وحينئذ انتهى عمل هؤلاء الرجال وابتدأ عمل الذين يمشون في النار فخرج عشرة منهم من غابة لابسين ملابس غريبة ونزلوا الى الحفرة حفاة ومشوا على الحجارة مسرعين وداروا حول الحفرة كلها في نحو خمس عشرة ثانية . ورميت لهم اوراق خضراء في وسط الحفرة فداروا اليها وداسوها وحالما وضعوا اقدامهم عليها ازت وخرج البخار منها واكتنفهم حتى كاد يحجبهم عن الابصار

وفحص احد الاطباء واحداً منهم قبل نزوله الى الحفرة فوجده صحيح البدن ضربات نبضه تسعون في الدقيقة ويداه وقدماه ابرد من سائر بدنه . وقدماه نظيفتان لا رائحة فيهما ولا يظهر انه عالجهما بشيء من الاشياء وانحصاها ابيضان الى الصفرة صقيلان لينان جداً كأنهما من جلود الجداء

وكان هؤلاء الرجال لا يرفعون نظرهم من الحجارة وهم يمشون عليها . وفحص واحد منهم بعد خروجهم من الحفرة فاذا ضربات نبضه ١٢٠ في الدقيقة وانحصا قدميه باردان وباطنا رجليه سخنتان كأنه مصاب بحمّى شديدة وكان لا بساً مئزراً محوكاً من لحاء الاشجار وخلخالين منها ايضاً فلم تفعل بهما النار ولا فعلت بشعر ساقيه . وداس الطبيب بعض تلك الحجارة بجزمته فلم تسوّد جلدها مع انها كانت حامية جداً لا تلمس . وطلب من احد الحضور ان يخرج له حجراً منها ولم يكن من الذين مشوا عليها فاخرج له حجراً بقدمه ولكنه لم يستطع لمسه بيده

وقد علل الطبيب ذلك بان الحجارة من النوع المعروف بالاندسيت وقد وجد بالامتحان ان سير الحرارة في هذه الحجارة بطيء جداً فاذا حسب سيرها في النحاس الفاً فسيرها فيها اقل من سبعة اي ان ايصالها للحرارة ضعيف جداً . واما اشعاعها للحرارة فكثير لانه اذا كان اشعاع الحديد مائة فاشعاعها ٤٨ ولذلك فالسطح المعرّض منها للهواء يبرد ولو قليلاً والحرارة الباقية فيه لا تصل الى القدم بسرعة اذا كانت القدم تلمسه لحظة من الزمان لان هذه المدة غير كافية لانتقال مقدار كبير من الحرارة من الحجر الى القدم

وخلاصة ذلك ان الحجارة المحماة يمكن دوسها بالاقدام ولو لم يكن لمسها بالايدي ممكناً لان شعور الاقدام بالحرارة اضعف من شعور الانامل بها . ثم انه اذا كان الجسم

غير موصل للحرارة كالماء وبعض الحجارة سهل لمسهُ ولو كان حارًّا لان الحرارة لا تنتقل منهُ الاَّ ببطء مثال ذلك انك تستسهل لمس الماء السخن ولو كان غالياً ولكنك لا تستطيع ان تلمس الاناء الذي فيهِ ذلك الماء اذا كان من النحاس او الحديد لان الحرارة لا تنتقل من الماء الى يدك بسرعة ولكنها تنتقل بسرعة من النحاس والحديد. ولذلك فالمشي على الحجارة الحماة ليس من الخوارق ولو كانت الحجارة شديدة الحمو اذا كان المشي سريعاً . هذا ويبلغنا عن اناس يأكلون الجمر ويقضمون الزجاج ولا يتالمم مكروه ولم نسمع ان احداً بحث في ذلك بحثاً علمياً ولكن لا شبهة عندنا في ان هذه الافعال ومثالها اذا تولى البحث فيها عالم محقق لم يرَ فيها شيئاً من الخوارق بل وجد انها جارية على مقتضى النواميس المعروفة كناموس انتقال الحرارة في الاجسام وقد يجد انها جارية على مقتضى ناموس غير معروف كناموس اشعة رنتجن ولكن هذا بعيد الاحتمال جدًّا انتهى . وقد بحث الاستاذ لنغلي من المعهد المنصوري والاستاذ كرامتن من جامعة كولومبيا كلٌّ حدة في هذا الموضوع فوصلا الى نتيجة واحدة لا تخرج عما تقدم . وقد اخذ الاستاذ لنغلي قطعة من هذه الحجارة الى وشنطون واحمى احد طرفيها بلهيب الاكسجين والهدروجين الى درجة الحمرة ومسك الطرف الآخر بيده من غير ان يحترق

يجتمع مشاة النار مع اخوانهم للرقص والطرب